الطريقة التيجانية في المغرب العربي بين عاملة ومجاهدة

د. هاجر الطيب الطاهر عمران
كلية الآداب – جامعة الزاوية

مقدمة:

اتَخذَ التصوَّف الإفريقي على امتداد التاريخ الإسلامي أشكالاً متعدِّدة، ومظاهر مختلفة باختلاف الطرق الصوفية، والأذواق وظروف النشأة وأسباب التطور، كما عرفت اتجاهات فكرية ودينية واجتماعية وسياسية تراوحت تشكيلاتها بين التصوُّف الفردي والتصوُّف المؤسسي الذي عكسته الرباطات والزوايا ومنارات الطرق الصوفية.

وكان من أسباب اختياري لموضوع البحث إظهار ما للطريقة التيجانية في شمال إفريقيا، والمغرب العربي بخاصة من منزلة ومكانة كبرى في الحياة الروحية، حيث ساهمت في نشر الإسلام والحفاظ عليه في هذه البلدان على مرِّ التاريخ، وعمل رجالها الأولون على تأسيس الزوايا والربطات لهداية الضالين إلى سواء السبيل، ولتأكيد اهتمام الطريقة بتعليم الناشئة وتربيتهم تربية إسلامية سليمة، وبث العلم في صدور الرجال، إذ كان لها الجهد العظيم في الحفاظ علي اللغة العربية والمعتقدات والتعاليم الإسلامية في شمال إفريقيا ضد مخطَّطات الاستعمار الغربي الذي عمل جاهداً في سبيل طمس اللغة العربية والهوية العربية.

فوجدت أنَّ الطريقة التيجانية بحاجة إلى المزيد من الدراسة وعرض أدوارها الجهادية، ودراستها دراسة وصفية؛ لأنَّ البعض أجحف في حقها عندما تجاهل هذا الدور **فما هي أهم أدوارها؟**

كما هَدفتُ إلى إبراز أهم زعمائها على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، وما ساهموا به من أدوار في مجال الجهاد والإصلاح، والتعريف بأهم الزوايا ودورها في الحياة الاجتماعية والدينية.

وقد انتهجت المنهج الوصفي فحاولت عرض ووصف أهم الأدوار الجهادية للطريقة عبر تأثيرها في المجتمع وصولاً إلي أبرز أدوار مشايخ الطريقة التيجانية في المغرب

العربى، ونظراً لذلك قَسَّمتٌ هذا البحث إلي مبحثين بعد المقدمة، وكل مبحث يضم مطالب على النحو الآتي:

المبحث الأوٌل: جاء بعنوان الطرق الصوفية في شمال إفريقيا فتناولته عبر مطلبين الأول: نبذة تاريخية عن أسبق الطرق انتشاراً كالقادرية والرفاعية والبدوية باعتبارها المؤثرة في الطريقة التيجانية، وبيان أهم القواعد التي اتفقت عليها حتى لا نجحف حقها في السبق، والمطلب الثاني تناولت فيه الطريقة القادرية والطريقة الشاذلية وأثرهما علي الطريقة التيجانية، وتحدثت فيه عن كل طريقة وذلك عبر مطلبين،الأول يتحدث عن كيفية دخول الطريقتين الشمال الإفريقي، وكيف جعلتا منه منطقة مهيأة لانتشار الحياة الروحية ولقيام طرق جديدة مثل الطريقة التيجانية، والثاني يوضِّح التأثير القادري والشاذلي على الطريقة التيجانية، الذي يتضح جلياً في أكثر من جانب.

والمبحث الثاني: جاء بعنوان دور الطريقة التيجانية في المغرب العربي حاولت فيه إبراز دور الطريقة التيجانية في المجتمع وجهادها لنشر الإسلام ورفضها الظلم، عبر مطلبين ففي المطلب الأوٌل تناولت دور التيجانية في الجزائر والمغرب وتونس، والمطلب الثاني كان بعنوان دور التيجانية في ليبيا. ثم جاءت الخاتمة التي احتوت على أهم النتائج التي توصّل إليها البحث في إيجاز، فالمصادر والمراجع.

المبحث الأول:الطرق الصوفية المؤثرة في الطريقة التيجانية.

1- نبذة تاريخية.

2- الطريقة القادرية والطريقة الشاذلية وأثرهما على الطريقة التيجانية.

أ. الطريقة القادرية.

ب. الطريقة الشاذلية.

الطرق الصوفية في شمال إفريقيا:

1- نبذة تاريخية: انتشر التصوٌف في شمال إفريقيا انتشاراً كبيراً، ففي بعض بلدان إفريقيا لم يدخلها الإسلام بجيوشه، بل دخلها عن طريق الدعاة بأفكارهم، وكان معظم الدعاة مِنْ أتباع الطرق الصوفية، وبخاصة الشاذلية والقادرية، التي أسهمت مساهمة كبيرة

في نشر الإسلام في شمال إفريقيا ودول وسط وغرب إفريقيا كالسنغال، مالي، النيجر، غينيا، غانا، نيجيريا وتشاد[1].

يقول الدكتور الشيبي في كتابه (الصلة بين التصوُّف والتشيع): "إنَّ الطرق الصوفية تميزت بتبنيها طابعاً خاصاً وأسلوباً محدَّداً في الوصول إلى الله تعالى، وهي تختلف عن أسلوب غيرها، إذ تعرَّض لهذه الطرق باحثون قليلون ولم يشبعوها بحثاً، وإنَّما كانت تلك الدراسات قليلة ومحدودة، وأطلق على هذه الطرق الهيئات الصوفية المنظمة، وهذه الطرق قد أسست منذ القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، قبل الغزو المغولي (656هـ1258م)، مِنَ السنغال غرباً إلى الصين شرقاً في العصور الوسطى"[2]، ويرى الدكتور الشيبي أنَّ هذه الطرق "كانت مؤسسة على مبادئ في التصوُّف الإسلامي في العصور الوسطى، ظهر فيها نظام معقَّد، فتوسَّعت في معاني ما أخذته مِنَ الأصل وزادت الجديد مِنْ عندها، ولقد تغيرت روح الأصل فيها تحت عوامل محلية وسياسية"[3]

والسؤال الآن هل التصوُّف الذي يلتزم به أصحاب الطرق يختلف باختلاف الطرق؟ لكل طريقة قواعدها الخاصة بها غير أنَّ الطرق على اختلافها تتفق في النقاط التالية:

1- الاحتفال بدخول المريد للطريقة بطقوس حقيقية مرسومة، وقد يتطلَّب مِنَ المريد قبل الدخول لبعض الطرق أنْ يمضي وقتاً شاقاً في الاستعداد للدخول.
2- في كثير منها يلتزم المريد بزى خاص.
3- اجتياز المريد مراحل شاقة مِنَ العبادات كالخلوة والصلاة والصوم[4].
4- الإكثار مِنَ الذكر والسماع مع الاستعانة بالدفوف والحركات البدنية المختلفة في السماع، والتي تساعد على الوجد.
5- اعتقاد بعضهم بالقوى الروحية الخارقة للعادة، التي تمنح للمريدين وأصحاب الوجد قوى تمكنهم مِنْ أكل الجمرات المشتعلة، والتأثير على الثعابين والإخبار بالمغيبات.
6- احترام المريد لشيخ الطَّريقة[5].

وعلى هذا النحو يمكن أنْ نقول إنَّ بناء الطرق الصوفية قد اكتمل بشكل منهجي وخضع للنظام وفق منهجية دقيقة ومعيَّنة، بعكس ما كان عليه سابقاً مِنْ عدم وحدة في النظام والتفكير، فقد أصبح للطرق قواعد وآداب في تصوفها، وكل هذا يشكِّل منهجية

واضحة، وقد لعبت الطرق الصوفية دوراً هاماً للحفاظ على التراث الإسلامي وفرائضه وسننه ومقدساته، و أنَّ "الطرق الصوفية قامت بدورٍ هام وتاريخي لصيانة التراث الخالص وتطويره لمسايرة العصر دون أنْ تفقد الشخصية الإسلامية شيئاً مِنْ مميزاتها"[6].

كان الشمال الإفريقي زاخراً بالطرق الصوفية الممتدة على الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، مِنْ مصر شرقاً حتى مراكش غرباً، منها مَا كان مغربي الأصل ووفد إلى مصر، كان القرن السابع الهجري هو عصر ازدهار التصوُّف وأصحاب الطرق، وقد وفد إلى مصر مِنَ العراق الشيخ أبو الفتح الواسطي (ت580هـ) وبشَّر بالطَّريقة الرفاعية، ووفد كذلك إليه مِنَ المغرب السيد أحمد البدوي (ت675هـ)[7] وظهر (بطنطا) وهو مؤسس الطَّريقة الأحمدية، وظهر كذلك الشيخ إبراهيم الدسوقي القرشي(658 هـ) (بدسوق) وهو مؤسس الطَّريقة الدسوقية[8]، وكذلك جاء إلى مصر مِنَ المغرب الشيخ أبو الحسن الشاذلي(ت656هـ) ومعه جمع مِنْ تلاميذه ومريديه وغيرهم واستوطنوا مدينة الإسكندرية وكوَّنوا بها طريقة صوفية مشهورة هي (الطَّريقة الشاذلية)، وكان أبرز مَنْ قام على الطَّريقة مِنْ بعده تلميذه أبو العباس المرسي(ت686هـ) وابن عطاء الله السكندري(ت709هـ)[9]، ولكل واحد منهم طريقة، ثم تفرَّعت الطرق بتعدد مَنْ أخذها مباشرة أو بالوساطة وتنتسب للآخرين عنهم لتفرُّعها عن الأصل لأحد السادة الأقطاب(*)"[10].

ومما هو جدير بالذكر أنَّ أغلب الطرق منسوبة إلى نخبة مِنْ كبار الأولياء(**) وهم: الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ الرفاعي وأحمد البدوي وإبراهيم الدسوقي وأبي الحسن الشاذلي[11]،"إنَّنا نجد صاحب الطَّريقة في نسبه إما أنْ يكون علوياً، وإمَّا أنْ يجعل طريقته وراثية على نسق الإمامة الشيعية، ومِنَ المعروف أنَّ التصوُّف والوراثة أمران متناقضان، لأنَّ المشيخة تحصل بالمجاهدة والسلوك، ولا يعقل أنْ يكون للشيخ ولي عهد"[12].

يتضح مما سبق أنَّ هؤلاء كانوا أشهر أعلام الطرق التي كان لها أثرها في الشمال الإفريقي، ولكن سنتناول عرضاً موجزاً لأهم طريقتين في الشمال الإفريقي مثلتا التصوُّف وأثَّرت تأثيراً واضحاً في الطَّريقة التيجانيّة، وهما الطَّريقة القادرية والطَّريقة الشاذلية.

– الطَّريقة القادرية والطَّريقة الشاذلية وأثرهما على الطَّريقة التيجانيّة:

أ– الطَّريقة القادرية:

1. دخول الطَّريقة القادرية الشمال الإفريقي: تُعَدُّ مِنْ أوائل الطرق في شمال إفريقيا، أسَّسها الشيخ عبد القادر الجيلاني(ت561 هـ)، في العراق وهو أول مَنْ أسَّس الطرق الصوفية ونادى بها[13]، وقد انتشرت بشكل كبير في الشمال الإفريقي[14]، إلا أنَّ هذه الطَّريقة في حياة الإمام عبد القادر الجيلاني[*] لم تكن منظَّمة ومكتملة بالشكل الذي أصبحت عليه على يد أتباعه مِنْ بعده[15].

وقد مثَّلت التصوُّف المعتدل في كل بلد دخلته، وأثَّرت فيما جاء مِنْ بعدها من طرق، كالطَّريقة (التيجانيّة) مثلاً، وهذا ما سنتناوله في حينه، فهي طريقة عملت بالأصول والفروع وربطت التصوُّف بالكتاب والسنة[16]، وهذا ما تدل عليه الدلائل التاريخية مِنْ أنَّ الدولة العثمانية كان لها الدور البارز في نشر الطَّريقة في أنحاء العالم الإسلامي الواسع[17]، وبعد وفاة الشيخ انتشر تلاميذه في البلاد ناشرين معهم العلوم الشرعية والطَّريقة القادرية[18].

وأخذ التصوف منذ ذلك الوقت ينحو نحو التربية العامة لا الخاصة في التوجُّه الأخلاقي القائم على المجاهدات والخلوات والعكوف على العلم ولزوم حدود الشريعة، وهذا ما تبلور في هذه الطَّريقة الصوفية التي تمثِّل صورة اجتماعية منهجية تربوية إصلاحية، فكانت التطبيقات العملية التي نادى بها شيوخ التصوف اعتباراً مِنَ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، مبادئ تكوِّن ملامح للطرق الصوفية[*]، فصاغت هذه الطرق القالب الذي ينصب فيه تجمع الصوفية.

وقد دخلت القادرية كطريقة إلى الشمال الإفريقي في القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني والثالث عشر الميلاديين، وذاع صيتها وانتقلت إلى منطقة (تاكيدا Takedda) في الصحراء حيث التف حول الشيخ عبد القادر المريدون واتبع طريقته عدد مِنْ قبائل صنهاجة، وبعد انهيار المدينة في القرن (التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي)، انتقلت القبائل إلى(أغاديس)، ومنها إلى الصحراء ونقلوا مبادئ الطّريقة معهم،

وقد تبعها عدد كبير مِنْ سكان شمال إفريقيا، وفي (عام 1400م)، انتشرت في أهير (Ahir)[19].

يتضح أنَّ هذه الطَّريقة دخلت الشمال الإفريقي في عهد الشيخ عبد القادر الجيلاني والأتباع، لأنَّها وجدت قبولاً وذيوعاً، وذاك راجع إلى براعة الجيلاني في الوعظ والإرشاد وشهرته فيه، "فدخلت مصر على يد تلميذيه عثمان بن مرزوق القرشي(ت 564 هـ) وعلي ابن عبد الله الأنصاري، وفي اليمن على يد تلميذه علي بن الحداد"[20]، وكانت أول زاوية قادرية بالبلاد التونسية في مدينة (مترل، بوزلفة) أنشئت ولاقت انتشاراً على يد الشيخ محمد الإمام المترلي (1248هـ/1832).

اتصفت الطريقة القادرية بالتصوف السني المعتدل الذي تأسس على مجاهدة النفس والتوكل على الله والصبر والرضا ودوام الذكر، فتولَّد عن ذلك أصول منها الجهاد في سبيل الله وعلو الهمة وحفظ الحرمة ونفوذ العزيمة وتعظيم النعمة[21].

والطَّريقة القادرية مِنْ أوائل الطرق الصوفية المنظَّمة التي دخلت مراكش(**) مِنْ خلال العالم المراكشي المشهور أبو مدين الغوث، الذي قابل مؤسس الطَّريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد بعد أداء فريضة الحج، وكان (أبو مدين) (*) أصلاً مِنْ مدينة (سفيل sevel)، ولكنه عاش فترة طويلة بفأس، ودرس بها وذاع صيته وشهرته في مراكش خلال القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري[22]، وقد استقر في بجاية (Bijaya) ومات عند قرية عباد (ubbad)، بالقرب مِنْ تلمسان، وهو مِنْ أشهر الصوفيين في القرن الثاني عشر الميلادي[23].

انتشرت الطَّريقة الصوفية القادرية في مراكش وكان لها دور في الحياة الدينية والاجتماعية طوال القرون التالية لدخولها، وهذا ما جعل المنطقة مستعدة لأية أفكار صوفية جديدة، فكانت المنطقة مهيأة لقيام طرق جديدة مثل الطَّريقة التيجانيّة التي أسَّسها الشيخ أحمد التيجانيّ في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي/الثاني عشر الهجري[24].

إنَّ الطَّريقة القادرية على الرغم من الفارق الزمني بينها وبين الطَّريقة التيجانيّة إلا أنَّها أثَّرت فيها بصورة أو بأخرى، فهي التي جعلت مِنَ المغرب أرضاً خصبةً لأي فكر

صوفي آخر، فضلاً عن تأثر الشيخ أحمد التيجانيّ نفسه، الأثر الذي سنتناوله في ما هو آت.

2- التأثير القادري على الطَّريقة التيجانيّة: الواضح أنَّ الطَّريقة القادرية جسَّدت التصوف المعتدل في أبهى صورة، لذلك أشاد بها كل معتدل من أهل التَّوجه الصوفي في الشمال الإفريقي أمثال أبي العباس أحمد التيجانيّ، صاحب (الطَّريقة التيجانيّة)، فالتأثير القادري على الطَّريقة التيجانيّة ظهر جلياً مِنْ خلال أسفار الشيخ أحمد التيجانيّ، حيث أنَّه أخذ – حسب ما جاء عن ابن حرازم في (جواهر المعاني وبلوغ الأماني) "طريق الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني –رضى الله عنه– بفاس، على يد مَنْ كان يلقن الطريقة ومَنْ له الإذن فيها"[25]. رغم الفارق الزمني بين العصر القادري والعصر التيجانيّ، إلا أنَّ بصمات القادرية ظلت في الطَّريقة التيجانيّة واضحة لمن أخذها، فالأصول القادرية وما نادت به مِنْ مبادئ نجده مِنْ ضمن الأساليب التربوية التي كان يمارسها الشيخ أحمد التيجانيّ مع تلاميذه، أو مِنْ ضمن ما سعت الطَّريقة إلى تحقيقه ونذكر منها:

1- مجاهدة النفس[26]: فالشيخ أحمد يدعو ناصحاً تلاميذه بمجاهدة النفس ومحاربة الكبر والعظمة فيها، وتربيتهم تربية دينية صالحة، ويقول لهم: "إذا أراد (أي الله تعالى) هلاك عبد وكَّلَه إليها، أي إلى نفسه، ولم يزده شيئاً، وإذا أراد رحمته عرَّفه نعمته وألهمه شكرها وجنَّبه كفرها، وذلك هو أصل كل خير"[27]، كلا الطريقتين دعت إلى مجاهدة النفس وتهذيبها لكي تتمسَّك بالقاعدة التي هي: "السير على طريقة أهل السلف الصالح"[28]، "وعلى عقيدة أهل السنة"[29].

2- الذكر: وهذا ما سعت الطَّريقة التيجانيّة إلى ممارسته مِنْ خلال رياضاتها العملية التي منها الذكر وأكَّدت "على دوام الذكر لله تعالى بالقلب واللسان دائماً بأيّ ذكر كان"[30]، فما يتولد عن هذا الذكر والذي يكون به السالك دائم الاتصال بالله حال الفناء والبقاء، الذي فيه يفقد السالك شعوره بما حوله وبنفسه ويبقى بالله، مِنْ شدة وجده، فهي لحظة خاطفة يلتقي فيها قلب الصوفي بربه فيفيض عليه مِنَ المعرفة اللدنية والعلم الوهبي الذوقي[31].

3- عاملة ومجاهدة في سبيل الله: فالقادرية ظلت كذلك عاملة على نشر الفضيلة والأخلاق في المجتمع فكانت حاثة واعظة[32]، وفضلاً عن ذلك فهي مجاهدة، إذ كان

أتباع الطَّريقة القادرية في طليعة الجيش للدفاع عن مدينتهم بغداد عندما زحف الأتراك، وكان ذلك بأمرٍ مِنَ الإمام الجيلاني وبقيادة ابنه الشيخ عبدالعزيز[33]، والطَّريقة التيجانيّة أيضاً عملت على أنْ تكون عاملة على نشر الفضيلة وحسن الخلق، مِنْ صبرٍ وصدقٍ واعتدالٍ[34] في المجتمع، لأنَّ ذلك "ما تقتضيه الاستقامة والتوبة"[35]، ولأنَّها وجدت في كل تلك الصفات مجتمعة محرِّكاً للحياة الاجتماعية الفضلى، ولما هو أقوم وأصلح، وهي مجاهدة أيضاً، إذ قاد مشايخها أولى معارك التحرير ضد الغزاة الأتراك[36]، وكذا الحال بالنسبة لكل تيجانيّة الشمال الإفريقي[37] وهذا ما سنتناوله في حينه.

ب- الطَّريقة الشاذلية:

1- دخول الطَّريقة الشاذلية شمال إفريقيا: تعدُّ الطَّريقة الشاذلية مِنْ أوائل الطرق التي ذاعت وانتشرت في شمال إفريقيا، إذ ظهرت هذه الطَّريقة بالمغرب وانتقلت إلى مصر، ومِنْ مصر إلى أقطار عدَّة[38]، فهذه الطَّريقة "لقيت مِنَ الانتشار بين المريدين والقبول مِنَ العلماء المنتسبين إليها ما لم تلقه طريقة صوفية أخرى، فالشاذلي وما انطوت عليه شخصيته والانتشار الكبير لطريقته، وبما تألف منه مذهبه ونزعته، قد مثَّل في هذا كله التصوف السني"[39]. فالمتأمل في تاريخ الطَّريقة يلاحظ أنَّ لها أقطاباً ثلاثة على رأسهم أبو الحسن الشاذلي(ت 656 هـ)[*] ويليه أبو العباس المرسي(ت 686 هـ)[**] وابن عطاء الله السكندري(ت 709 هـ)[***][40].

لعبت الشاذلية في حقل التصوف الإسلامي على يد أعلامها دوراً لا يقل عن الدور الذي لعبه الغزالي مِنْ قبل[41]، فالتصوف عرف في عهده حركة استمدت عناصرها مِنْ أصول سبقتها، كأبي مدين الغوث، وهو أحد الأصول "والذي كان الشيخ المباشر لعبد السلام بن مشيش السيد الشريف الحسيني، أحد الأئمة العارفين"[42]، وقد شهدت الحركة الصوفية أزهى أيامها في القرن السابع الهجري، وهذا ما أكده ابن عطاء الله في (المفاخر) بأنَّه وفد إليها (أيّ الإسكندرية) مِنْ صوفية المغرب أبو الحسن مع جملة مِنْ تلاميذه[*]، واستوطنوا مدينة الإسكندرية حوالي (642هـ/1244م) وكوَّنوا مدرسة صوفية بها[43]، فهجرة الشاذلي[**] بشَّرت بروح أصبحت سائدة في المغرب العربي بعد أنْ رأى استعداد

العالم الإسلامي، والشمال الإفريقي خاصة مصر، للتكتل والاتحاد ضد العدو الذي يتربَّص بهم[44]، إذ أنَّهم في حاجة ماسة لذلك.

مما سبق عرضه يتضح أنَّ الطَّريقة الشاذلية مثَّلت التصوف في شمال إفريقيا، واتبعت الدعوة إلى الله بأسلوب ومنهج جمع بين العلم والعمل والجهاد في سبيل الله، فكان مِنْ الطبيعي أنْ تنتشر هذه الطَّريقة؛ ليصل انتشارها شرقاً إلى (ملاوي)، كما انتشرت في أماكن كثيرة مِنَ العالم الإسلامي وفي شمال إفريقيا وغربها[45].

إنَّ الأثر الذي تركته هذه الطَّريقة، وما خلَّفه أتباعها، ساهم مساهمة فعَّالة في نشاط الطرق الصوفية والتأثير فيها، كما هو الحال بالنسبة للطريقة التيجانيّة وهذا ما سأوضحه.

2- التأثير الشاذلي على الطَّريقة التيجانيّة: يظهر الأثر الشاذلي على الطَّريقة التيجانيّة مِنْ خلال تأثر الشيخ أحمد التيجانيّ نفسه بها وذلك مِنْ خلال كتاب (الحِكَمْ) لابن عطاء الله السكندري، يقول ابن حرازم: "عندما أقام الشيخ سنة كاملة بعضها بتونس وبعضها بمدينة سوسة، درس بتونس كتاب (الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري)"[46]، وللعلم أنَّ كتاب (الحِكَمْ العطائية) "كان دستوراً للسالكين للطريقة الشاذلية على اختلاف فروعها"[47]، فهو يحتوي على آداب الطَّريقة وأصولها وقواعدها[48]، وطبيعياً أنْ يتأثر الشيخ أحمد بما قرأ، خصوصاً كتاب قَيِّم مثل (الحِكَمْ العطائية)، فترك هذا الكتاب أثره على الطَّريقة التيجانيّة كيفما دارت، فالشيخ أحمد التيجانيّ درس أسس الطرق الصوفية وبحث في أسفاره عن شيوخ كثيرين وأخذ طرقاً عدَّة، لكنه تركها فشكل هذا لديه أرضية صلبة للطريقة التيجانيّة لدعمها وتقويتها، وظلت لهاتين الطريقتين "القادرية والشاذلية" بصمات متفردة على الطَّريقة التيجانيّة، ويمكننا أنْ نوضِّح الأثر الشاذلي على الطَّريقة التيجانيّة نفسها، والتي نجد أنَّها أخذتها في أكثر مِنْ موضع سواء في شروطها أو في آدابها، وفي أساليب تربية مريديها، ومِنْ هذه الأصول والأسس الشاذلية:

1- مجاهدة النفس والتوبة إلى الله في السر والعلانية[49]: التيجانية كأي طريقة لها العديد من الرياضات العملية التي لابد منها لتهذيب النفس واستقامتها، التي منها على سبيل المثال لا الحصر: من الرياضات العملية التهذيبية النفسية الصلاة، والصوم، والأذكار والأوراد، والسماع، وأورادها تتكوَّن من – الورد والوظيفة، وذكر الهيلله يوم الجمعة،

فالورد هو من الأوراد اللا زمة، ووقته فى الصباح والمساء، ومن أركانه: الاستغفار، والصلاة على النبيﷺ، والكلمة المشرفة. أمَّا الوظيفة فتتكون من: الاستغفار، والصلاة على النبي وهى صلاة الفاتح المعروفة من قبل أتباع الطريقة، والهيلله، وجوهرة الكمال وقتها يومياً، أمَّا الركن الأخير من أوراد الطريقة اللازمة فهو ذكر الهيلله يوم الجمعة.

أمَّا عن مقامات الطريقة فهي التوبة، الزهد، التوكُّل، الشكر، الورع، التواضع، الرضا، المحبة، والصبر، وأحوالها منها: حال القرب، اليقين، القبض، البسط، الفناء والبقاء، المعرفة القلبية، وعلية، فالتيجانيُّ يظهر لمريديه أثناء نصحه، وفي كل وقت، عيوب أنفسهم مؤكداً على ضرورة مجاهداتها، وهذا يدل على صدق توجهه الروحي ومدى صدق تقواه واستقامته، ويستدل (بالحِكَمْ العطائية) قائلاً أثناء نصحه: "أصل كل معصية غفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة يقظة وعدم الرضا منك عنها..."[50].

ويبدو الأثر الشاذلي على الطَّريقة التيجانيّة جلياً مِنْ خلال استدلال الشيخ أحمد التيجانيّ نفسه "بالحِكَمْ العطائية"[*].

2- إتباع السنة والاقتداء بها[51]: التيجانيّة طريقة عاملة دعت إلى "استقامة عامة على نهج السنة مِنْ غير تحريف"[52]، والتيجانيّ يحرص ناصحاً على أنْ يكون السالك التيجانيّ رسول صدقٍ ومحبة في القول والعمل في مجتمعه، لا بل عدَّ كل ذلك شرطاً لازماً لمن أخذ "الورد التيجانيّ"[53]، وبهذا كانت هذه الطَّريقة مدرسة تربوية اجتماعية تنوعت آدابها ومقاماتها وشروطه[54].

3- الدعوة للجهاد: أعطت التيجانيَّة بدعوتها للجهاد ميزة متفرِّدة للتصوُّف، إذ شارك في الجهاد في تلك الآونة في مصر مشايخ مِنْ بينهم العز بن عبد السلام، ومجد الدين الأخميمي، وأبو الحسن الشاذلي وغيرهم مِنْ خيرةِ العلماء في "معركة المنصورة"[55]، إذ كان أبو الحسن الشاذلي في مقدمة المتوجهين إليها. فليس غريباً أنْ تكون التيجانيّة هي الأخرى مجاهدة في سبيل الله ورفع راية الحق[56]، وهذا يدل على أنَّ التصوُّف ليس وسيلة للكسل والتقاعد، وإنَّما هو طريق للجهاد ظاهراً وباطناً.

يتضح مما سبق أنَّ الأثر الشاذلي على الطَّريقة التيجانيّة تبيَّن واضحاً في أكثر منْ موضع، ويستمر هذا الأثر لتكون التيجانيّة إحدى الفروع المتفرعة عن الشاذلية، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدل على مدى عمق التأثر بها.

كانت الطرق التي تفرَّعت عن الشاذلية بمثابة الجماعات التي انحدرت عنها في حين أثبت التقويم لعام (1952م)، الذي أصدرته مشيخة الطَّريقة المحمدية الشاذلية، أنَّ الفروع التي حازت الصفة الرسمية بالمشيخة للطرق الصوفية فضلاً عن الفروع الأخرى، ففروع الطَّريقة الشاذلية المغربية نذكر منها الآتي:

الزروقية	السنوسية	اليوسفية	الخرازية	الزيانية	الحنصلية
الشيخية	الفاسية	المكناسية	الناصرية	الدرقاوية	الصديقية
الجزولية	العزوزية	العربية	الدرعية	المجذوبية	العدوية
العليوية	العلوية	الحراقية	المكية	البدوية	الدباغية
الضرضارية	العيسوية	العطارية	التيجانيّة"[57].		

إذن الواضح أنَّ الطَّريقة الشاذلية أثَّرت في أكثر منْ طريقة، فأضفى هذا جوانب إيجابية للطريقة التيجانيّة، والذي به شكلت (أي التيجانيّة) وصاغت فكرها وطابعها "إنَّ هذه الطَّريقة، أي الشاذلية، تدخل على سائر الطرق فتطلبها، وطابعها ينزل على كل طابع"[58].

المبحث الثاني: دور الطريقة التيجانيّة فى المغرب العربى.

أ- دور التيجانيّة في الجزائر والمغرب وتونس.

ب- **دور التيجانيّة في ليبيا.**

دور التيجانيّة في المغرب العربي: سنعرض فى هذا المبحث دور التيجانيّة بين عاملة ومجاهدة في المغرب العربي في كل من: الجزائر، والمغرب، تونس، ليبيا. كان جزءاً كبيراً من الصحراء الشرقية، بما في ذلك أبو سمغون، وعين ماضي، و الأغواط تابعاً للمغرب حتى مطلع القرن التاسع عشر، علاوة على أنَّ المغربين الأوسط والأدنى شكلا جزءاً من الإمبرا طورية المغربية على مدى عدة قرون، فالتيجانية طريقة صوفية مساندة للمغرب ومعادية للأتراك، لقت التأييد من المؤيدين وهذا واقع وحقيقة نقرؤها في العديد

من المصادر، ليس في العصر العلوي، وعصر مولاي سليمان على وجه التحديد فحسب، بل منذ القرن السادس عشر الميلادي.

أ- **دور التيجانية في الجزائر والمغرب وتونس:** كان للتيجانيّة أثر واضح في شتَّى جوانب الحياة في المجتمع المغربي من الناحية الدينية والاجتماعية والسياسية، فعلى الصعيد الديني والاجتماعي غرست الطّريقة التيجانيّة في المجتمع المغربي التمسك بالكتاب والسنة والرفض لكل البدع من دروشة وتَمَسُّح بالقبور والمزارات وحذرتهم من ذلك[59].

وقد جاء في قول ابن حرازم متحدثاً عن الشيخ أحمد التيجاني: "فصار يدل على الله وينصح عباد الله ويحيي أمور الدين في قلوب المؤمنين بما منحه الله"[60]، وفي موضع آخر يقول: "هو مَنْ أظهر سننه وأخمد بدعه"[61].

إنَّ التيجانيّة من الطرق التي عملت على أنْ يكون لها دورٌ فعالٌ في المجتمع، وأكَّدت أنَّه لا يكفي للقيام بحق الإسلام أنْ يهتم الصوفي بتهذيب نفسه ومجاهدتها وخلاصها دون العمل والتعايش مع الناس بالنصيحة والقيادة السليمة والدفاع ضد الاستعمار ونشر الأخلاق الدينية في المجتمع، إذ أنَّ هذه الطريقة كانت بمثابة القوة الدافعة لمقاومة النفوذ الفرنسي الذي واجهه المغرب العربي[62].

إنَّ التيجانيّة في المغرب والجزائر مارست وسطية معتدلة، جمعت بين جهاد النفس والجهاد ضد الاستعمار الأوربي والتركي، إذ قامت الطرق الصوفية والزوايا المنتشرة في مدن وقرى الوطن العربي بدور عظيم في نشر الإسلام والحفاظ عليه[63] وحماية الهوية العربية، وكان مِنْ بين هذه الطرق الطريقة التيجانيّة، وكان (محمد التيجانيّ) الكبير أحد أولاد الشيخ أحمد التيجانيّ الذي قاد ثورة ضد الأتراك وقُتِلَ فيها"[64]، فكان بذلك من أوائل مَنْ قاد معارك التحرير ضد الأتراك الغزاة، مدافعاً عن كيان الطريقة ومحافظاً على عروبة الجزائر من قبضة الاستعمار التركي والفرنسي[65]، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدل على أنَّ ثورات الطرق الصوفية سواء التيجانيّة أو الدرقاوية أو غيرها، ضد الاستعمار التركي للجزائر كانت عنيفةً وشديدة[66]، وكذلك ضد الاستعمار الفرنسي، وهذا ليس غريباً على الشيخ أحمد التيجانيّ وطريقته، الذي اعتبر المحتل لبلده كافراً[67]، ومما يظهر موقف التيجانيّة من العدو ما أورده أحمد سكيرج في (كشف الحجاب) على لسان

محمد الحبيب أحد أبناء الشيخ قوله راداً على بعض رُسُل العدو إليه، بعد سد الباب في وجوههم: "إني لن آتي إليهم أبداً، وإنْ ضاق عليهم هذا الوطن فأرض الله واسعة"[68].

وبذلك كان دور الطريقة التيجانيّة ومكانتها الروحية على المستوى الديني والاجتماعي والسياسي هو الجمع بين ما يتطلَّبه المجتمع من إصلاح وترشيد بنهج الكتاب والسنة، وبين مقاومة وجهاد للاستعمار وأهدافه.

وعلى الرغم من التسامح الذي نادت به الطريقة إلاَّ أنَّ ذلك لم يمنعهَا من المقاومة القوية ضد الاستعمار الفرنسي، وكانت زاوية فاس مقراً لقيادة المقاومة التيجانيّة ضد الفرنسيين[69].

إنَّ العمل الجهادي لهذه الطريقة كان له صداه الايجابي لدى رجال الطريقة التيجانية في البلدان الأخرى، فتطلَّعت أنظارهم إلى زاوية فاس، وما تحمله من تعاليم تيجانيّة، وهذا ما ساهم في تزايد عدد المنتمين إليها[70].

استمرت المقاومة وحركة الجهاد المسلَّح ضد الاحتلال التركي والفرنسي من جانب القبائل التي تحمل أصولاً مغربية، كما امتدت المقاومة إلى قبائل الشناقطة في موريتانيا[71]، فالطريقة التيجانيّة شاركت إخواناً لها من الطرق الأخرى للذَّودِ عن أوطانهم، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدل على صدق أصحاب التوجُّه الروحي في مقاومة المستعمر أيّاً كان.

- **دور التيجانيّة في تونس:** عُرِفَت الطريقة التيجانية في تونس أثناء زيارة الشيخ لتونس، يقول ابن حرازم -(هو أحد اتباع الطريقة التيجانية، وهو مؤلف كتاب (جواهر المعانى) الحاوى على كل ما يتعلَّق بالطريقة التيجانية فى أورادها وأهم آدابها، "عُرفت الطريقة التيجانيّة في تونس أيام ترحال الشيخ نفسه، فبقى بها سنه كاملة، قضى بعضها بسوسة والبعض الآخر بتونس"[72]، فتشكلت أثناء أسفار الشيخ علاقة روحية حميمة بين الشيخ أحمد التيجانيّ والشيخ إبراهيم الرياحي[*]، ممثل التيجانيّة بتونس، ولقوة هذه العلاقة كانت أولى معطياتها تحوُّل الشيخ إبراهيم الرياحي إلى الطريقة التيجانيّة، وعليه فهذه الطريقة قد وجدت منافساً في غرب القارة الإفريقية، لكنها ظلت "أقوى الطرق في شمال إفريقيا، حيث امتدت إلى تونس عن طريق اثنين من العلماء هما: الشيخ إبراهيم الرياحي

(ت 1850م)، والسيد محمد المناعي (ت 1832م)، وقد شجَّع البايات (جمع باي، وهي منصب سياسي) في تونس أقطاب الطريقة في العاصمة وكل المدن، وكان (البايات) يقدِّرون الدور الكبير الذي يمكن أنْ تلعبه هذه الطريقة في المجال السياسي والديني[73].

فالتيجانيّة كطريقة لعبت دوراً تاريخياً سجَّله التاريخ، هذا الدور الذي أقرَّ به الباباوات آنذاك واعتز به الأحفاد فيما بعد.

1- **دورها في المجتمع:** كان أول دور للطريقة الرياحية التيجانيّة إنشاؤها (الزاوية الرياحية)، تحديداً منذ أيام الشيخ نفسه، فبعد أنْ أهدى له أحد الوزراء داراً مجهَّزة بكامل المرافق، وتكفَّل بنفقات زواجه على حد تعبير ابن أبي الضياف، وهو (أحد تلاميذ الشيخ أحمد التيجانى) "فاطمأنت به الدار وقرَّ له القرار"[74]، فأصبحت الزاوية مركزاً لاستقبال الضيوف ومسجداً للمصلين ومكاناً لتقديم الطعام، وهي أيضاً منبراً للعلم ومقصداً لطلابه، يتذاكرون فيها أورادهم ووظائفهم[75]، ومِن أدوار التيجانيّة الرياحية التي قام بها إبراهيم الرياحي أنَّه في سنة (1218 هـ) وجَّهه حمودة باشا سفيراً لحاكم المغرب؛ يطلب المعونة بسبب انحباس الغيث بالبلاد التونسية[76].

وكان للرياحية التيجانيّة دور هام فقد كان شيخها يلقي دروساً في الفقه المالكي، ودروساً في النحو وإماماً وخطيباً بجامع الزيتونة، وكان يجمع بين رئاسة المذهب المالكي بتونس، وإمامة جامع الزيتونة المعمور[77]، وبين إشرافه على شؤون التعليم بجامع الزيتونة[78].

إنَّ الرياحية التيجانيّة كان لها الفضل في تخريج علماء وفقهاء أمثال أحمد بن أبي الضياف، وسالم بوحاجب، والطاهر بن عاشور(هم من تونس ومن صفوة العلماء الفقهاء وكانوا من خريجى جامع الزيتونة)[79]، كما ساندت تحرير العبيد مبشرة بالإصلاح، وكان إبراهيم الرياحي الأب الروحي للحركة[80].

2- **دورها في السياسة:** لم يقف دور التيجانيّة التونسية عند حد نشر العلوم الدينية والأخلاق الإسلامية بين الخاصة والعامة، وإنَّما امتدَّ إلى الجهاد ضد المستعمر، فعندما أعلن الباي محمد الصادق[*] سنة (1859م) الدستور التونسي في (28 أبريل سنة 1861م)، وكانت المواد الأولى منه تنص على الحريات الشخصية، وتعلن المساواة أمام

القانون والإدارة والضرائب دون تمييز بين الأجناس والأديان وغير ذلك، ترتَّب على إصدار هذا القانون وفود عدد كبير من الأجانب إلى تونس، وازدياد ضغطهم على الإدارة، خاصة بعد أنْ أصبحت دائنة منهم، أمَّا التونسيون أنفسهم فلم يروا في هذه القوانين إلاّ الجانب الذي يسوِّي اليهود بهم، فكان ذلك سبباً للثورة الداخلية التي نشبت (سنة 1864م)[81]، التي كادت أنْ تطيح بعرش الباي، وقد عبَّرت عن غضب الشعب التونسي على هذا التحوُّل في سياسة البايات، ويمكننا تلخيص أسباب القلق في النقاط الثلاث الآتية:

أولاً – ازدياد نفوذ الأجانب.

ثانياً – التلاعب بالقوانين الحديثة.

ثالثاً – إرهاق السكان بالضرائب بالرغم من قلة موارد البلاد[82].

إنَّ تلك الظروف وغيرها دفعت التيجانيين الذين وجدوا إجحافاً من البايات على الناس بالضرائب للوقوف بجانب الشعب ومطالبه، ففي هذه الظروف كان للتيجانية دورٌ هامٌ في الحياة السياسية، ففي سبتمبر عام (1864م)، وبعد تطبيق لائحة الآمان عام (1857م) ودستور عام (1861م)، التف الناس حول زعماء الطريقة التيجانيّة، وأعلنوا ثورة عنيفة ضد الحكَّام في تونس، حيث قاد هذه الثورة أحد رجال الطريقة التيجانيّة وهو (علي بن غذاهم) الذي ينتمي إلى قبيلة (ماجر Mager)[83]، فبدأت ثورة (سنة 1984م)، وكانت ثورة محلية تونسية ضد زيادة الضرائب بالبلاد، وذلك في إقليم (الكاف) المتاخم لحدود الجزائر، ونظراً للإحساس العام بالسخط، امتدت هذه الثورة بسرعة إلى إقليم (المجردة) وأصبحت تهدد موانئ سوسة وصفاقس، وتحوَّلت من ثورة محلية إلى ثورة قومية بعد أنْ تولَّى زعامتها أحد الزعماء الدينيين، (علي بن غذاهم)، فأصبحت لها أهداف سياسية للاحتجاج على جامعي الضرائب ومن هذه الأهداف:

1- التقرُّب من الحكومة الإسلامية الكبرى بالأستانة، وترك العداء للأتراك، لمواجهة الاستعمار الأوربي.

2- اتخاذ موقف معادي للتوسع الأوربي في شمال إفريقيا[84].

وهكذا دخل الثوار مدينة (صفاقس) ورفعوا عليها العلم[85]. وقد أدَّى هذا إلى قلق الفرنسيين في الجزائر ممَّا جعلهم يفكرون في تحقيق أطماعهم في غزو تونس، ولكن الموقف الدولي في ذلك الوقت لم يسمح لهم بهذا التدخُّل، إذ كانت كل مِن انجلترا وإيطاليا تشارك فرنسا أطماعها، لذلك وقفت أساطيل الدول الثلاثة على الشواطئ التونسية لتهديد الثورة، ولكن لم تستطع إنزال جنودها إلى البر[86].

حوَّلَ قائد الثورة (ابن غذاهم) كل جهود القبائل لإجبار الحكومة على قبول مطالب الثوار، وبالفعل قام رئيس الوزراء (مصطفى خزنة دار) بتهدئة القبائل الثائرة، ووعد بالعفو العام وتخفيض الضرائب، وفي (صيف 1864م) أحسَّ بن غذاهم بضعف سلطانه، فعرض الاستسلام مقابل العفو العام، وفي (22 يوليو 1864م) كان مطلبه قطعة مِن الأرض يبني عليها زاوية للطريقة التيجانيّة[87].

وما أنْ سَلَّمَ (علي بن غذاهم) حتى قام رئيس الوزراء بسلسلة مِن الحملات للقضاء على الثائرين ليعيد سلطة الباي في الدولة، وقد قام بالقبض على نائب (علي بن غذاهم التيجانيّ) وأخذ يضربه حتى فاضت روحه أمام زوجته وأطفاله، الأمر الذي أدَّى بالقائد علي بن غذاهم للرجوع لحمل السلاح دفاعاً عن نفسه، وعن الطريقة التيجانيّة ورجالها واضطر إلى اللجوء (للقسطنطينة) في الجزائر، وتدخَّلت السلطات الفرنسية لدى الباي وحصلت على وعد بالعفو عنه، ولكن دون جدوى، فقرَّر عبور الحدود مِن جديد، وعاد إلى تونس بتشجيع مِن الفرنسيين[88] الذين كانوا قد رتَّبوا قيام السيد (محمد العبد)، رئيس الزاوية التيجانيّة في مدينة (تامالهات Tamalhat)، لزيارة تونس، واستخدم نفوذه لدى الباي محمد الصادق لضمان العفو عن (ابن غذاهم)، الذي كان قد استقر في مخبأ قرب (الكاف) انتظاراً لقدوم محمد العبد لكي يسافر معه إلى العاصمة، ولكن القوات التونسية قبضت عليه في (26 فبراير 1866م)، وبسرعة أعلن الحاكم العام في الجزائر أنَّه أرسل إلى القنصل الفرنسي في تونس بشأن التوسُّط بخصوص (ابن غذاهم) ونجحت هذه الرسالة، وتقرَّر سجن زعيم الطريقة التيجانيّة بدلاً مِن إعدامه، وفي العاشر مِن أكتوبر (سنة 1876م)، أي بعد ثمانية عشر شهراً من القبض على (ابن غذاهم)، وُجِدَ ميتاً[89].

يتضح من ذلك الدور الذي لعبه رجال الطريقة التيجانيّة في تونس، فقد كانوا رمزاً لقوة روحية لها تأثيرها في المجتمع التونسي، وهذا ليس بغريب على متصوفة المغرب عامة، الذين أشاعوا في المجتمع بسلوكهم تحرِّي الحلال والابتعاد عن الحرام، وكانوا يسيرون على الكتاب والسنة، فكانت زواياهم نقطة الالتقاء الرئيسية للحياة الوطنية وللمقاومة[90]، يتضح من كلام الشيخ محمد رؤوف الرياحي الذي أبرز الدور الذي لعبته الطريقة التيجانيّة في الحضارة السلمية، وليس هذا وحسب فالطريقة التيجانيّة حَظِيَت بالاهتمام بعد أحداث (11 سبتمبر2001م)، لما لها من فكر يُعادي الفكر التكفيري الجهادي الذي تحمله (السلفية الجهادية)[*]، خصوصاً وأنَّ أتباعها يُعَدُّون بالملايين في العالم، حيث نُظِّمت عدة ملتقيات كان آخرها (ملتقى للإخوان التيجانيّين)، وكانت رسالته تمكين الفكر الصوفي في مواجهة الفكر السلفي المتطرِّف الذي تفرعَّ عنه الفكر الجهادي، هذا الأخير الذي أصبح مُرادفاً اليوم للإرهاب، ولتنظيم القاعدة والجماعة السلفية للدعوة والقتال[91].

يقول العقبي في كتابه (الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر)، "التيجانيّة بمراكزها في عين ماضي حيث توجد الزاوية الأم، ثم تأتي بعدها زاوية تماسين، ثم الأغواط، وسوف وورقلة وغيرها من المناطق التي كان لها تاريخ بالبطولات والأمجاد، على رغم انحراف المنتسبين إليها، أو المحسوبين عليها، الذين لم يلزموا أنفسهم بالسير قدماً في النهج القويم الذي سار سلفهم عليه، بل غرتهم الدنيا، وغرهم بالله الغرور، فحرفوا وبدَّلوا وغيَّروا بذلك وجه الطرق"[92]. وقد اعتبرها البعض "من أحسن أجهزة النضال وأحدثها عهداً وأشدها عزماً، وهي السنوسية والتيجانيّة"[93].

فالتيجانيّة عبر تاريخها كان لها دورها الجهادي عامة، رغم محاولة البعض إعطاء صورة ضبابية لها.

ب – دور التيجانيّة في ليبيا: لم تنتشر الطريقة التيجانيّة في ليبيا بشكل واسع كما هو الحال في الجزائر والمغرب وتونس ومصر، وهذا راجع إلى وجود طرق أخرى أكثر انتشاراً كالقادرية، التي انتشرت خلال القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) وما بعده، أدخلها الشيخ (أحمد بن علي التواتي)[94]، لذلك فهي منتشرة في

أغلب مناطق فزان(*)[95]، فكان دخولها وانتشارها أسرع في الجنوب الليبي، ومن مدنه سبها، البرقن والبركت، وفي شرقه مثل بنغازي، درنة والبيضاء، وفي شماله الشرقي بمسلاتة، تلك المناطق كلها بها زوايا تيجانية تسير على الطريقة التيجانيّة، وهي معتدلة على نهج الكتاب والسنة، وبدخولها الجنوب انتشرت في الشرق والشمال، إلاَّ أنَّها قليلة وليست نادرة: ليس من المستبعد وجود زوايا لهذه الطريقة في جنوب ليبيا بصورة خاصة، أمَّا في الشمال فهي نادرة[96].

وبمرور الشيخ الحاج عمر بن سعيد الفوتي وهو من أدخل الطريقة التيجانية إلى غرب السودان بشكلها الفعلي، وأعلن الإصلاح الديني والجهاد في غرب السودان، وكان من أهم مراكزه الجهادية سوكوتو، وحمد لله، فكان شيخ الطريقة التيجانيّة على مناطق فزان(**) وهو قادم من الحج في طريقه إلى برنو (سنة1831م)، عندها عقد اجتماعات مع عدَّة شخصيات في (مرزق) من فقهاء ومتصوفة وطلبة علم، تمكَّن خلالها التعريف بنفسه ونشر الطريقة التيجانيّة، وهذا أقلق أصحاب الطريقة القادرية التي كانت موجودة في ذلك التاريخ بمرزق. ذلك ما أكَّده شيوخ الطريقة الحاليون في أكثر من زاوية، فالأستاذ الحضيري قال: إنَّ الأستاذ أحمد الآزمي استعان بما كتبت في هذا الخصوص، وأكَّد كل منهما أنَّ (سنة 1831م) هي سنة دخول الطريقة لليبيا[97]، وعند دخول التيجانيّة إلى فزان من خلال عمر الفوتي أقلق هذا الكثيرين من المتصوفة القادريين على الخصوص، فأحمد الآزمي أورد في هذا الصدد أنَّ دخول التيجانيّة ليبيا سبَّب عداوة للشيخ عمر الفوتي في الأوساط العلمية الأخرى بالبلاد[98]، وهذه العداوة تحدَّث عنها الفوتي في كونها بلغت مبلغاً كبيراً[99].

هكذا، فدخول الطريقة التيجانيّة إلى ليبيا سبَّب قلقاً لأصحاب الطريقة القادرية، الأقدم ظهوراً بليبيا، إذ كانت العلاقات بين الدولة العثمانية بطرابلس ليبيا، وحكَّام برنو متأزمة، التي تزامنت مع مرور الحاج عمر بفزان، الذي ترك أثراً طيباً في (مرزق) وتمكَّن من نشر تعاليم الطريقة التيجانيّة بين سكانها، ويأتي في مقدمة الذين أخذوها قاضي المدينة الجوهري[100].

انتشرت الطريقة التيجانيّة بشكل أوسع في ليبيا في القرن العشرين، بحسب ما أقرَّ به معظم المشايخ بالزوايا، ومن أهم شيوخ الطريقة في ليبيا: الشيخ إبراهيم عبد المولى بوكر، ومقره (البرقن) بمدينة الشاطئ، وشيخاه في الطريقة الشيخ محمد سالم المزوغي، والشيخ إبراهيم صالح الحسيني[101]، كما انتشرت في مسلاتة وشيخاها محمد المختار شعيب، وعيسى محمد يوسف كوا[102].

1- **دورها في الحياة الدينية و الاجتماعية والسياسية:** كان للطريقة التيجانيّة في ليبيا دورها المهم في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية، وبدخول الطّريقة التيجانيّة ليبيا كانت أول أعمالها بناء الزوايا سواءً في مدينة مرزق أو سبها أو غيرها من المدن، وتعدُّد مشايخها، ففي (سبها) مثلاً كان شيخ زاويتها (إقديح بلقاسم)، أمَّا عن زاوية (البرقن) فشيخها (إبراهيم عبد المولى بوكر)، وظلت هذه الزوايا عاملة بالكتاب والسنة، ومقدِّمة يد العون للمحتاج، فضلاً عن كونها مدارس تربوية وإصلاحية، إذ أنَّها ترشد وتعلِّم كل داخل إليها[103].

وبانتشار الزوايا[*] التيجانيّة بشكل واضح في ليبيا خلال القرن العشرين، كان من أهم زواياها زاوية (مسلاتة)، والمريدون فيها أغلبهم أطباء أو مهندسون، وهم أصحاب مهن مختلفة، وقد انتهى إلى هذه الزوايا العديد من شرائح المجتمع، وفيها نوقشت كل المواضيع الرامية إلى إصلاح المجتمع وسداده[104]، فالتيجانيّة الليبية كانت ولا زالت ذات نهج اعتدالي جامعة بين واجباتها الدينية والاجتماعية والسياسية.

2- **دورها في مواجهة الاستعمار:** كان للزوايا في ليبيا نفس الدور الذي لعبته الزوايا في بلاد المغرب العربي من مقاومة للاستعمار والدفاع عن الوطن والدين، والحفاظ على الثقافة الإسلامية، ورفع منارات العلم عالية في فترات تاريخية صعبة[105]، وهذا الدور لعبته الطرق الصوفية الأخرى في ليبيا، فالطريقة السنوسية مثلاً هي مَن قدَّمت الصوفي الكبير المجاهد عمر المختار[106].

أنجبت الطرق والزوايا الصوفية بليبيا المجاهد والعالم والعابد، فالجهاد الليبي كان منذ بدايته يضم متصوفة ليسوا تيجانيين فقط، بل قادريين وسنوسيين وشاذليين،

ولكن هناك مَن أنكر الدور الجهادي الليبي التيجانيّ، ولعل مِن الأدلة على الدور الجهادي التيجانيّ الليبي ما ذكره أحمد صدقي الدجاني في كتابه (الحركة السنوسية)، حيث قال: "اتسعت الحركة السنوسية كغيرها مِن حركات الإصلاح بتحالف زعماء هذه الحركة مع الحكام المحلّيين في مناطق جهادها واعتمدت على الطرق الصوفية مثل: القادرية والتيجانيّة والشاذلية"[107].

فالدجاني يوضِّح أنَّ الطريقة السنوسية التي اتخذت مِن ليبيا مقراً لها، اعتمدت في جهادها ضد المستعمر الإيطالي على أصحاب الطرق التيجانيّين والقادريين والشاذليين، فليس من المعقول أنْ ننكر دورها، والتـــاريخ يشهد لها بأدوار في الجهاد مع أصحاب الطرق الأخرى، التي حمل رجالها السلاح للدفاع عن الوطن، فجمعتهم كلمة واحدة، وهي لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وغاية نبيلة سامية هي الجهاد في سبيل الله تعالى، وتحرير البلاد مِن قبضة الاستعمار، وهذا ما تميزت به التيجانيّة فى المغرب العربى.

الخاتمة: نهلت الطريقة التيجانية الكثير من آداب الطرق الأخرى، وأخذت عنها، وتأثرت تأثراً واضحاً بالطرقتين القادرية والشاذلية وبأصولهما، وذلك كان منعكساً على الأساليب التربوية التي كان يمارسها الشيخ أحمد التيجانى مع تلاميذه، لذا نجدها قد رفعت راية التسامح والخير مع الجميع، واتخذت روحاً معتدلة بين العلم والعمل، ولم تهمل الجوانب الفكرية بحثاً عن حياة أفضل، فلم تكن حياتهم كما صوَّرها البعض بأنَّها حياة القاعدين والمتواكلين، فكانت مجاهدة، إنَّها حياة العباد الصالحين والمجاهدين الذاكرين الذين ساهموا في إثراء الحياة الدينية والاجتماعية، وجاهدوا ضد الاستعمار بأنواعه. لذا نجد زوايا الطريقة التيجانية قد جمعت على أنْ تكون عاملة ومجاهدة، فكان لها الأثر الواضح في شتَّى جوانب الحياة في المجتمع من الناحية الدينية والاجتماعية والسياسية، فعلى الصعيد الديني

والاجتماعي غرست الطريقة التيجانية في المجتمع التمسُّك بالكتاب والسنة، والرفض لكل البدع من دروشة وتمسُّح بالقبور وحذَّرتهم من ذلك.

التيجانية كطريقة تعدَّدت أدوارها وأكَّدت أنَّه لا يكفي للقيام بحق الإسلام أنْ يهتم الصوفي بتهذيب نفسه ومجاهدتها، وخلاصها دون العمل والتعايش مع الناس بالنصيحة الطيبة السليمة. والدفاع ضد الاستعمار، إذ أنَّ هذه الطريقة كانت بمثابة القوة الدافعة لمقاومة الاستعمار في المغرب العربي.

مارست التيجانية في المغرب العربي وسطية معتدلة، فجمعت بين جهاد النفس والجهاد ضد الاستعمار الأوربي والتركي، ورفعت منارات العلم عالية في فترات تاريخية صعبة، وكان لها دورها في نشر الإسلام والحفاظ علية.

في نهاية هذه الخاتمة لا يسعنى إلا أنْ أقول: الطريقة التيجانية انطلقت من قاعدة متينة لا يختلف فيها اثنان، كتاب الله وسنة نبيهﷺ، فهي لعبت دوراً مهماً بين الإصلاح والتربية، والدفاع عن القيم الدينية والعدالة والتحرر من الاستعمار.

هوامش البحث ومراجعه:

(1) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس،القاهرة، 1980م، ط1،ص186-188.

(2) كامل الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع، ج1، دار الأندلس، 1982م، ص472.

(3) المصدر نفسه ، ج1، ص472.

(4) كامل مصطفى الشيبي: صفحات مكثفة منْ تاريخ التصوف الإسلامي، بيروت، دار المناهل، 1997م، ط1، ص174.

(5) المرجع نفسه، ص 174.

(6) أحمد توفيق عياد: التصوف الإسلامي، تاريخه مدارسه طبيعته وآثاره، ج2، مكتبة لأنجلو المصرية، 1970م، ص262.

(7) ابن الملقن: طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريبه، القاهرة، مكتبة الخانجي،ط1، ص422.

(8) الشعراني: الطبقات الكبرى، ج1، دار الفكر، 1954م، ص165.

(9) فاروق أحمد مصطفى: البناء الاجتماعي للطريقة الشاذلية في مصر، الهيئة المصرية للكتاب، 1980م، ط1، ص75.

(*) الأقطاب: مفردها قطب، وهو صاحب أعلى الدرجات في الطريقة، والقطبية لا يبلغها أساتذة الطريقة إلا بجهد جهيد، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله منَ العالم منْ كل مكان، وعرَّفه البعض الآخر بأنَّه: رجل عظيم وسيد كريم يحتاج إليه في مد الاستقرار في تبيين العلوم المهمة، كما جاء عن أحمد النقشبندي الخالدي: جامع الأصول في الأولياء، معجم الكلمات الصوفية، ج3، بيروت ،دار المعرفة،1999،ص67.

(10) توفيق الطويل: التصوف إبان العصر العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م، ص72.

(**) الأولياء: مفردها الولي، وهو من يتولَّى الله سبحانه أمره، فلا يكله إلى نفسه لحظة، ومن يتولَّى عبادة الله تعالى وطاعته، فعبادته لله تعالى تجري على التوالي من غير أنْ يتخلَّلها عصيان، والولي هو: العارف بالله وصفاته، والأولياء طبقتان، سابقون ومقرَّبون، حيث قال الله تعالى فيهم: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾، سورة يونس: الآية 62، والمراد أنْ نعرف أنَّ الله -عزَّ وجلّ- قد خصهم بمحبته وولايته، وهم ولاة ملكه الذين

اصطفاهم وجعلهم أية إظهار فعله، وخصَّهم بأنواع الكرامات، الهجويري: كشف المحجوب، ج2، بيروت ،دار الاندلس ،ص446.

(11) الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع، ج2، ص338.

(12) المصدر نفسه، ج2، ص338.

(13) الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع، ج2، ص472 .

(14) عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية وأعلام المنكرين عليه والطرق الصوفية، دار الرشاد، 1992م، ط2، ص11.

(*) تنتسب هذه الطَّريقة للشيخ عبد القادر الجيلاني موسى جنكي دوست وهو لفظ أعجمي بمعنى محب، أو يحب القتال، كما جاء عن محمد بن يحيى التادفي: قائلاً الجواهر في مناقب تاج الأولياء ومعدن الأصفياء وسلطان الأولياء عبد القادر الجيلاني، المكتبة الأزهرية، 2000م، ط1، ص5،ولد بجِيلان وهي بالكسر، بلاد كثيرة وراء طبرستان وجنوب بحر قزوين، وجيلان بالفتح قوم مِنْ أبناء فارس، وعند قولنا الجيلي والجيلاني فواحد نسبة لذلك المكان،. كامل مصطفى الشيبي: الجيلاني إلمامه بشخصيته وفكره التربوي، الجزائر، دار الجرائر،1987م، ص1، ولد (بجيلان سنة 470هـ/1077م، ودخل بغداد يتيماً غريباً، وبها توفي سنة 561هـ/1166م). الذهبي: أعلام النبلاء، ج1، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم، مصر،مؤسسة الرسالة، 1992م، ط8، ص491، "فأول ما فعله فك عقدة لسانه بالعربية، لأنه أعجمي اللسان فارسي"، للاستزادة يُرجع. عبد القادر الجيلاني: فتوح الغيب، مكتبة المنار، بدون تاريخ، ص182.

(15) أحمد شهاب الدين: عبد القادر سلطان الأولياء، طرابلس، دار الكتب الوطنية، 1999م، ص94.

(16) المناوي: الكواكب الذرية، ج2، القاهرة، دار غريب، بدون تاريخ، ص9.

(17) كامل مصطفى الشيبي: صفحات مكثفة مِنْ تاريخ التصوف الإسلامي، ص175.

(18) إسماعيل العربي: معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، المغرب، دار الآفاق،1993م، ط2،ص199.

(*) هذه الطرق الصوفية هي: التجمعات الصوفية الأولى، وهي صورة أولى للطرق الصوفية، محمد مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام ، القاهرة، دار غريب،1945م، ص109.

)19(Hiskett, M.: The Development of Islam in west Africa, London, p.244. 1972.

(20) أحمد شهاب الدين القادري: عبد القادر سلطان الأولياء، ص93-97.

(21)هشام عبيد: تونس وأولياؤها الصالحون في مدونة المناقب الصوفية، تقديم كمال عمران، مركز النشر الجامعي، 2006م، ص512، وأيضاً. محمد الكناني: تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان، تحقيق محمد العناني ،تونس ،المكتبة العتيقة ، 1970م، ص283، وأيضاً سبنسر ترمنجهام: الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة عبد القادر البحراوي، مصر،الدار الأندلسية، 1994م، ص81، وأيضاً. محمد البهلي: الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي ،طرابلس، مكتبة النجاح، 1965م، ص322.

(**) للقادرية في المغرب فروع كالبكائية وقادرية أدرار، السائح علي حسين: لمحات منَ التصوف وتاريخه،طرابلس، منشورات الدعوة الإسلامية، 1997م، ط2 ، ص339.

(*) مدين الغوث: ت595هـ/1198م، وهو شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي، الشهير بأبي مدين الغوث، أصله منْ اشبيلية، ولد بقرية في شمالها، كان صوفياً معروفاً وعاش فيها بين العقد العاشر منْ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، محمد أبو اليزيد: بحار الولاية المحمدية في مناقب أعلام الصوفية القاهرة، دار غريب، 1998م، ط1، ص427-428، وأيضاً: عبد الحليم محمود: شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، مطبعة الدار المصرية، 1976م، ص29.

(22) Rinn (L) , marabouts et khouan, ètu sur l´Islam en Algérie ,Alger 1984, p.216.

(23) Abu-Nasr Jamil: The Tijaniyya, a Sufi order in The modern world, London, 1971. p.2

(24) .Trimngham, J.S.: The sufi orders in Islam, London, 1971 , p.47

(25) علي بن حرازم: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ج1، مطبعة البابي الحلبي، 1960م، ط الأخيرة، ص444.

C. F. Too. Trimngham, J. s: The sufl orders P. 76.

(26) عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية، ص115.

(27) للاستزادة. علي بن حرازم: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ج1، ص109.

(28) محمد العري السائح: بغية المستفيد ، تحقيق سعد محمود عقيل، بيروت، دار الجيل، 2005م، ط2، ص35.

(29) عبد القادر الجيلاني: الغنية لطالبي طريق الحق، ج2، تقديم محمد خالد عمر، مصر، دار المعرفة، 1996م، ط1، ص445.

(30) عمر الفوتي: رماح حزب الرحيم بهامش كتاب جواهر المعاني، ج2 ، مطبعة البابي الحلبي ، 1961م، ط ا، ص161، وأيضاً. بدر سلامة التيجانيّ: كتاب النفحة الفضيلة في طريقة الختم التيجانيّة، ط3، مكتبة القاهرة، 2008م، ص38-39.

(31) علي بن حرازم: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ج2، ص275، وأيضاً محمد عبد الواحد النطيفي: الدُّرة الخريدة في شرح الياقوتة الفريدة، ج1، دار الفكر للطباعة، 1984م، ط الأخيرة ، ص44.

(32) أحمد شهاب الدين القادري: سلطان الأولياء عبد القادر الجيلاني، طرابس، دار الكتب الوطنية1999م، ط1، ص93.

(33) الكامل التيجاني: جريدة العلم، دور الطَّريقة في مقاومة الاستعمار، 16-3، 1981م.

(34) علي بن حرازم: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ج1، ص111-112.

(35) عبيدة بن محمد الصغير: ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطَّريقة التيجانيّة، مصر مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، بدون تاريخ، ص78.

(36) عبد الله التيجانيّ: الردود السنية على الطَّريقة التيجانيّة، القاهرة، مكتبة الجمهورية، بدون تاريخ، ص5.

(37) عبد الكامل التيجانيّ: دور التيجانيّة في الثورة التحريرية، الملتقى الدولي للإخوان التيجانيّين،الجزائر 23 نوفمبر، 2006، ص6، وأيضاً. صلاح العقاد: المغرب بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي، ج1، الجزائر، دار الآفاق، 1957م، ص190. وأيضاً: أحمد صدقي الدجانِّي: الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1967م، ص29.

(38) أبو الوفا التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص291.

(39) علي سالم عمار: أبو الحسن الشاذلي عصره وتاريخه وعلومه وتصوفه، ج2، مصر،مطبعة التأليف ، 1962م، ط1 ، ص1.

(*) ولد بقرية غمارة (سنة 593هـ/1226م)، ابن عباد: المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، مكتبة الفجر الجديد، 1996م، ص10، ويقول ابن عطاء الله: "ولد بشاذلية على القرب مِنْ تونس"، ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن بهامش لطائف المنن والأخلاق للشعراني، ج1، مصر،مطبعة حفني، 1938م، ص73، ودفن بحميرة في برية عيداب (سنة 656هـ/1258م). ابن عباد: المفاخر العلية، ص46-47.

(**) هو تلميذ الشاذلي وهو: "الوارث والحائز قطب السبق بالتمام..."، ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن ، وضع حواشيه خليل منصور، بيروت دارالحديثة ، 1998م، ط1، ص56.

(***) أصله مِنْ الإسكندرية ثم قطن القاهرة، وبعد وفاة أبي العباس المرسي، صار ابن عطاء الله وارث علمه والقائم على طريقته، ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي،1904م، ص60، ويقول: السبكي في (طبقاته) عنه "واستوطن الشيخ تاج الدين بالقاهرة يحفظ الناس ويرشدهم"، تاج الدين السكبي: طبقات الشافعية الكبرى، ج5 ، مصر، دار المعرفة، ص176.

(40) أبو الوفا التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص291.

(41) عبد المجيد الصغير: إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 19/18، المغرب، دار الآفاق، 1988م، ص27.

(42) يوسف ابن إسماعيل النبهاني: جامع كرامات الأولياء، ج2، تحقيق إبراهيم عطوة، مصر، دار المعرفة، 1999م، ص167- 168.

(*) إن هناك مِنَ الشاذلية مَنْ لهم احترام متبادل لابن عربي ومنهم ابن عطاء الله والشيخ محمد العربي الذي وصف ابن عربي بقوله: "مربي العارفين"، نفح الطيب، ج1 ، القاهرة، 1882م، ص158، وأيضاً. محمد رجب حلمي: البرهان الأزهر في مناقب الشيخ الأكبر ،مصر، مطبعة السعادة، 1908م، ص15، وأيضاً. عبد الوهاب الشعراني. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ج1، بيروت ،دار الكتب العلمية، 1988م، ط1، ص120.

(43) ابن عباد: المفاخر العلية، ص45-46.

(**) تكمن فيما لحقه مِنْ أذى عند خروجه مِنْ المغرب، فكتبوا إلى نائب الإسكندرية "أنه يقدم عليكم زنديق فاحذروه"، ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج5، إعداد أحمد إبراهيم محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م، ط1، ص259.

(44) عبد المجيد الصغير: إشكالية إصلاح الفكر الصوفي، ص32.

(45) أبو الوفا التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص299-293.

(46) علي بن حرازم: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ج1، ص45-46.

(47) للاستزادة، سلسلة الشاذلية، علي أحمد أبو النظر: منهل الأنوار المحمدية، بديل ذرة الأسرار، الإسكندرية، 1935م، ص277.

(48) أبو الوفا التفتازاني: ابن عطاء الله السكندري وتصوفه، ص56-59.

(49) ابن عباد: المفاخر العلية، ص62، أحمد النقشبندي: جامع الأصول في الأولياء وأوصافهم، ج1، ص47.

(50) أبو الوفاء التفتازاني: ابن عطاء الله السكندري وتصوفه، ص83.

(*) لمعرفة قيمة "الحكم العطائية"، وما قيل عنها، ابن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، المكتبة الأزهرية، القاهرة ، 1995م، ص4.

(51) عبد الحليم محمود: المدرسة الشاذلية الحديثة وأمامها أبو الحسن الشاذلي ، مصر،دار الكتب الحديثة، 1968م، ص35.

(52) عبيده بن محمد الشنقيطي: ميزاب الرحمة الربانية، ص78.

(53) محمد الشافعي الطصفاوي: الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجانيّ ، المكتبة الثقافية، بيروت ، 1909م، ص37.

(54) للاستزادة، علي بن حرازم: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ج1، ص111-109-117، وأيضاً. ابن الصباغ: دُرَّة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب أبي الحسن الشاذلي، تونس، المطبعة الرسمية،1877م، ص7.

(55) محمد بوذينة: أبو الحسن الشاذلي، دار التركي للنشر، ص51، 1989م.

(56) صلاح العقاد: المغرب بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي، ج1، ص19. وأيضاً محمد الناصر آدم: دور الشباب المسلم في القرن العشرين، مؤسسة محمد الرابع، كانو، 2004م، ص77.

(57) علي سالم عمار: أبو الحسن الشاذلي، ج2، ص23.

(58) محمد العربي السائح: بغية المستفيد، ص101.

(59) أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، الدار البيضاء، دار المعرفة1991م، ص 466.

(60) علي بن حرازم: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ج1، ط الأخيرة، مطبعة البابي الحلبي، 1961م، ص27.

(61) المصدر نفسه، ج1، ص28.

(62) أنور الجندي: الفكر في شمال إفريقيا، القاهرة، الدار القومية للطباعة1965م، ص51.

(63) للاستزادة. مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها ج1، بيروت، دار البراق، 2002م، ص17، وأيضاً. التهامي الوزاني: الزاوية، ج1، المغرب ،مطبعة تطوان، 1942م، ص 26.

(64) عبد الله التيجانيّ الإبراهيمي: الردود السنية على الطريقة التيجانيّة، القاهرة، مكتب مصر ، دون تاريخ، ص 5.

(65) عبد الكامل التيجانيّ: دور التيجانيّة في الثورة التحريرية، الملتقى الدولي للإخوان التيجانيين، الجزائر،23 نوفمبر 2006م، ط6.

(66) مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها ج1، ص 18.

(67) محمد الطيب السفياني، الإفادة المحمدية لمريد السعادة الأبدية، دار التيجانيّ، الجزائر، 2007، ص87.

(68) أحمد سكيرج العياشي: كشف الحجاب عما تلاقى مع التيجانيّ من الأصحاب، القاهرة،دار الفتح للتراث الإسلامي، 1962م، ص201 – 202.

(69) Coppolani et Octave Dépont les confréries religieuses Musulmanes. Alger, 1897. pp., 276. et. 439.

وأيضاً. محمد أحمد الكنسوسي: الجواب المسكت، الزاوية التيجانيّة، الجزائر، 2007م، ص14، وأيضاً كامل مصطفى الشيبي: صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، بيروت، دار الأندلس، 1997م، ط2، ص179، وأيضاً. علي بن حرازم: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ج1، ص180.

(70) عبد الكامل التيجانيّ: دور التيجانيّة في الثورة التحريرية، ص6.

(71) للاطلاع. أحمد بن أمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، القاهرة، دار المعارف،1958م، ص1 – 422 – 423.

(72) علي بن حرازم: جواهر المعاني وبلوغ الأماني ج1، ص45 – 46.

(*) هو الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر، قَدِمَ جده من طرابلس واستقر بمكان يسمى "العروسة"، فكان مولده سنة 1180 هـ، وحفظ القرآن على أيدي علماء الزيتونة، ثم تصدَّر للتدريس، فكان من أبرز علماء تونس، عمر بن محمد الرياحي: تعطير النواحي بترجمة الرياحي ج1 ،تونس، المكتبة العتيقة، ، 1992م، ط2،ص2، وأيضاً. أحمد الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس عهد الأمان ج7، تونس، 1968، ص 37 – 82. إلاَّ أنَّه كان شاذلي الطريقة، وتحول بمجرَّد تعرفه على الشيخ ابن حرازم إلى التيجانيّة فمدحه بقصيدة تسمى بـ "الميمية"، ديوان إبراهيم الرياحي: تحقيق محمد العيلاوي وحمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1990م، ط1، ص97، وبعد وفاة الشيخ أحمد التيجانيّ رثاه بقصيدة أخرى تسمى بـ (السينية)، ديوان إبراهيم الرياحي: تحقيق محمد العيلاوي، ص149، وعند التقائه بخليفة الشيخ أحمد علي التماسيني فراسله وكنَّ له بالغ الاحترام وظل مدافعاً عن الطريقة التيجانيّة،. أحمد الآزمي: الطريقة التيجانيّة في المغرب والسودان الغربي، ج1 ، وزارة الأوقاف، المملكة المغربية، 2000م، ص 375، وأيضاً رسالة ردّ فيها الرياحي عن الميلي المصري انتصاراً لشيخه سماها (مبرد الصّوارم والأسنَّة في الرد على من أخرج الشيخ التيجانيّ عن دائرة أهل السنة)، عمر الرياحي: تعطير النواحي ج1، ص37.

(73) عبد الله عبد الرازق: أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية ، القاهرة،مكتبة مدبولي، 1990م، ص7.

(74) ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان، ج7، ص 73 – 82.

(75) محمد بن الخوجة: تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد، ط2، بيروت،دار الغرب الإسلامي1985م، ص37 ، وأيضاً. محمد السنوسي: مسامرات الظريف بحسن التعريف، تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر، ج1، تونس ،دار تونس،1983م، ص230 – 231.

(76) عمر بن محمد الرياحي: تعطير النواحي ج1، ص3.

(77) محمد الخوجة: تاريخ معالم التوحيد في القديم والحديث، ص100.

(78) نفس المرجع، ص 100.

(79) عمر بن محمد الرياحي: تعطير النواحي، ج1، ص32.

(80) نفس المصدر، ج1، ص32.

(*) محمد الصادق: كان خليفة أحمد باي الذي كان أول مَن حاول إدخال مظاهر الحضارة الأوربية لتونس، ولم يفهم من هذه الحضارة سوى المظاهر الخارجية السطحية، دار تونس، د. ت، ص6.

(81) توفيق علي: تونس 67 عاماً تحت الاحتلال ، ص6.

(82) نفس المرجع، ص6.

(83) شوقي ضيف: المغرب العربي في العصر الحديث، القاهرة، دار المعارف،1976م، ص292 – 295.

(84) صلاح العقاد: المغرب العربي بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي ج1 ،المغرب، دار الطباعة، 1957م، ص190.

(85) المرجع نفسه، ص 190.

(86) صلاح العقاد: المغرب العربي ج1، ص190.

(87) Abunasr Gamil: The Tijaniyya, A Sufi Order in the modern world, London, 1971, P 34.

(88) الأرشيف العام التونسي، تحت رقم 1049، ص 185 – 190، نقلاً عن Abunasr Gamil: O. P. Cit, p 88

(89) التقرير نفسه، تحت رقم 1049، ص 185 – 190، نقلاً عن Abunasr Gamil: O. P., p Cit, p88.

(90) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي، ج1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1994م. ،ط1،ص 40

(*) هي التي اتخذت من الصحراء الكبرى منطقة إستراتيجية لنشاطاتها الإرهابية مستغلة الأوضاع لدول الحزام الأمني للجزائر، تشاد، مالي وموريتانيا، التي تشهد نشاطاً لتمردهم ضد الحكومات.

(91) الملتقى العالمي للإخوان التيجانيّين، الجزائر، الأغواط، 23 نوفمبر 2006م، ص12.

(92) مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، ص 138 – 180.

(93) لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ج3، ترجمة شكيب أرسلان، بيروت، دار الطباعة، 1973م، ط4،ص45.

(94) جمعة محمود الزريقي: مباحث في التصوف والطرق الصوفية في ليبيا، تقديم علي فهمي خشيم، بنغازى دار الكتب الوطنية، 2010م، ط1، ص121.

(*) يقول أبو بكر عثمان الحضيري أن أغلب الطرق دخلت (فزان) بطريقتين هما:

أولاً: عن طريق مهاجرين أو عابري سبيل من المشايخ والتجار، وذلك لأنَّ فزان تقع بين ملتقى طرق القوافل القادمة من المشرق، ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس.

ثانياً: من سكان جنوب فزان الذين يسافرون للبلدان المجاورة لطلب المعيشة والتجارة، وعند العودة يأتون لبلدانهم حاملين معهم طرقهم الصوفية، أبو بكر عثمان الحضيري: نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية لمناطق فزان، سبها، مطابع الشركة العامة، 2006م، ط1، ص121.

(95) جمعة محمود الزريقي: مباحث في التصوف والطرق الصوفية، ص121.

(96) نفس المرجع، ص47.

(**) فزان إحدى المدن الليبية بالجنوب الليبي، وسكانها خليط من البربر والعرب، الطاهر الزاوي: معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، 1968م، ط1، ص 248 – 249.

(97) أبو بكر عثمان الحضيري: نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية لمناطق فزان، ص140، أبو بكر عثمان الحضيري ودوره في الحياة الثقافية في فزان خلال القرن 13 \ 19، ضمن سلسلة الدراسات التاريخية 16، من أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا واقعها وآفاق العمل حولها، زليطن 1988م، كلية الآداب، ص1345.

(98) أحمد الآزمي: الطريقة التيجانيّة في المغرب والسودان ج2، ص390.

(99) عمر الفوتي الكدوي: رماح حزب الرحيم بهامش جواهر المعاني وبلوغ الأماني ج1 ، مطبعة البابي الحلبي، 1961م، ط الأخيرة ،ص189.

(100) Robinson, La guerre sainte d'Al Hajj Umar, Traduit de l'Anglais par henry Tourneux el jean. Claude Vuil. Lemin. Ed. Kart. Hala, Paris, 1988, P. 155.

(101) سند إجازة الشيخ: الصادرة عن الهيئة العامة للأوقاف، منارة أم القرى، بنغازي، ليبيا، بتاريخ 12 – 11 – 2002م.

(102) سند إجازة الشيخ: الصادرة عن شيخ الطريقة التيجانيّة في ليبيا عيسى محمد يوسف كوا، بتاريخ 21 – 6 – 1995م.

(103) أبو بكر عثمان الحضيري: نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية لمناطق فزان، ص 140.

(*) الزوايا بليبيا أغلبها ملاصقة للمساجد، وامتازت بهلالية أبوابها، وهي حتى الآن مراكز لتحفيظ القرآن، وخرَّجت آلاف من حفظة كتاب الله.

(104) جمعة محمود الزيقي: مباحث في التصوف والطرق الصوفية في ليبيا، ص47.

(105) للاستزادة. أعمال ملتقى التصوف الإسلامي ما بين 22 – 24 ربيع الآخر، ص 477 – 478، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية، 1995م، ط1.

(106) محمد محمد: الإمام محمد بن علي السنوسي في ذكراه، طرابلس، المطبعة الحكومية، 1956م، ص63.

(107) أحمد صدقي الدجاني: الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، القاهرة ،مكتبة الأنجلو المصرية،1967م، ص69.